الدراسات العليا

دليل عملى للباحثين فى الماجستير والدكتوراه

دكتور

حامد طاهر

عميد كلية دار العلوم

جامعة القاهرة

إهداء

إلى العالم والإنسان

الأستاذ الدكتور **محمد شفيق**

الذى التقينا معاً

على أن حل المشكلات إنما يبدأ

بتكوين الباحث الجيد ،

وتحديد المنهج العلمى الصحيح ..

حامد طاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

السنة التمهيدية

أصبح من المتعارف عليه أن مصطلح " الدراسات العليا " يطلق على الجهد العلمي الذي يبذله الباحثون بعد انتهائهم من مرحلة الليسانس (أو البكالوريوس) بهدف إعداد رسالة ماجستير ثم دكتوراه .

وقبل الدخول مباشرة في هذه المرحلة ، يجرى إعداد الباحث لها عن طريق دراسات متخصصة في المجال الذي ينوي التخصص فيه ويستغرق هذا الإعداد سنة دراسية كاملة (بعض الجامعات تجعلها سنتين) تسمى سنة تمهيدية .

وخلال السنة التمهيدية ، يتابع الطالب بانتظام مجموعة من المحاضرات المختلفة لعدد من أساتذة القسم العلمي الذى التحق به • وفيها يجرى التركيز على أهم قضايا التخصص المعين ، ومناهج البحث فيه ، وأبرز أعلامه ، وبعض مشكلاته •

وتتميز المحاضرات - عن مرحلة الليسانس - بإفساح قدر كبير من المناقشة والحوار مع الطلاب ، وأحيانا تتضمن قيام بعض الطلاب بإلقاء محاضرات حول بعض الموضوعات المحددة ، ثم يقوم زملاؤهم بمناقشتهم فيها تحت إشراف الأستاذ •

كما يتم تكليف كل طالب بعمل بحث مصغر ، أو التعريف بكتاب ذى أهمية خاصة فى مجال التخصص ، وفى كلا الحالين ، تتم إعادة البحث أو التعريف إلى الطالب بعد تصحيحه من الأستاذ ، بحيث يمكنهما معاً مناقشة لأخطاء التى يمكن أن تقع ، والتوجيهات التى يمكن الأخذ بها فى المستقبل •

وفى السنة التمهيدية ، يتعرف الطالب على أساتذة المجال الذى يدرسه ، كما يسعى هو أيضا لتعريفهم بقدراته وإمكاناته ، ولذلك لابد أن يُظهر لهم الجد والمثابرة ، والرغبة الحقيقية فى مواصلة التعلم • ومن

المستحسن أن يحمل معه دائماً مفكرة يكتب فيها كل ما يسمع من عناوين الكتب ، أو أسماء المؤلفين .

وأخيراً فإن السنة التمهيدية تعتبر فرصة جيدة لطالب الدراسات العليا ينبغى استغلالها فى تحسين اللغة الأجنبية ، التى سبق له تعلمها . فقد أصبحنا فى عصر لابد فيه من الاعتماد على لغة أجنبية عالمية ، تساعد فى التعرف على ما تم إنجازه فى العالم الغربى ، إما حول ثقافتنا العربية والإسلامية ، أو فى مجال التقدم العلمى والبحثى بصفة عامة .

دوافع الطلاب فى التوجه للدراسات العليا

تتباين دوافع الطلاب الذين يتجهون إلى الدراسات العليا بصورة واضحة . وفى كل عام ، كنت أتجه إلى طلابى بهذا السؤال ،: ما هو دافعك الحقيقى فى المجيء إلى هنا ؟ وفى البداية ، كان معظمهم يتردد ، نتيجة عدم بلورة إجابة محددة ، ولكنهم مع الاطمئنان إلى حسن النية فى السؤال ، والرغبة الحقيقية فى معرفة مختلف الدوافع ، كانوا يتكلمون... وسوف أعرض فيما يلى إجابات الطلاب بقسم الفلسفة الإسلامية لسنة ١٩٩٣ حتى يتبين منها بعض هذه الدوافع :

* حب الدراسات الإسلامية بعامة .
* الدفاع عن الإسلام ضد المستشرقين أو المعادين للإسلام .
* التعمق فى دراسة الفلسفة الإسلامية .
* دراسة علم مقارنة الأديان .
* تصحيح الأخطاء الفكرية الموجودة فى المجتمع .
* الرغبة فى الاطلاع المتزايد على مجال التصوف الإسلامى .
* تمييز الصحيح من الخاطئ فى مجال الفكر الدينى .
* دراسة العقيدة الإسلامية .
* دراسة علم الأخلاق .

* محاولة اقناع الناس عقليا بالاتجاه نحو الإسلام .
* معرفة آراء مفكرى الإسلام ، والوقوف على آراء المستشرقين .
* معرفة المزيد من عقائد الديانات الأخرى .

ومن الواضح أن هذه الإجابات لاتمثل الواقع تماماً . كما أن بعضها يتسم بالعمومية ، وبعضها الآخر يستعير شعارات إعلامية مطروحة . لذلك فإننا سوف نحاول هنا بلورة أهم دوافع الإقبال على الدراسات العليا فيما يلى :

١- الرغبة فى الارتفاع بالمستوى العلمى والثقافى ، وعدم الاكتفاء بما حصله الطالب فى مرحلة الليسانس .

٢- الحصول على الدكتوراه للعمل فى الجامعات ، وبالتالى تغيير المستوى الاجتماعى .

٣- بحث قضية معينة فى مجال معين ، تشغل البال ، وتستحوذ على الفكر .

شروط طالب الدراسات العليا

من استعراض الدوافع السابقة ، يمكن التركيز على ضرورة توافر "رغبة صادقة وحقيقية " فى الاشتغال بالبحث العلمى ، وما يتطلبه من قدرة على الصبر ، ومواصلة الجهد ، والطموح ، تتقوى بالنماذج التى يضعها الطالب أمامه لمحاكاتها ، مثل بعض الشخصيات العلمية المتميزة ، أو التى حققت إنجازاً مهما فى مجالها .

إن طالب الدراسات العليا يختلف - إلى حد ما - عن طالب مرحلة الليسانس (أو البكالريوس) فى عدة أمور : أهمها أنه أصبح ينحصر فى مجال واحد بعد أن كان موزعاً بين عدة مجالات ، كما أنه أصبح يبحث عن المعلومات بنفسه وفى أى وقت بعد أن كانت تلقى إليه من الأساتذة فى أوقات محددة ، وأخيراً ، فإنه أصبح مطالباً بترتيب وتصنيف وتقييم ما يقرأه بعد أن كان مطالبا باستذكار ما يُفرض عليه فى مناهج الدراسة الجامعية .

وباختصار ، فإنه الآن أصبح وحيداً بعد أن كان ضمن مجموع ، ومتميزاً بنفسه بعد أن كان مجرد رقم فى وسط أعداد كبيرة . إنه الآن

على أعتاب مرحلة تؤهله ليكون له اسمه الخاص ، ورأيه الخاص ، ومنهجه الخاص .

لكننا إذا قصرنا حديثنا هنا على الدراسات العربية و الإسلامية ، كان من اللازم أن نتذكر مجموعة من الشروط الواجب توافرها في طالب الدراسات العليا ، وهى :

١- التفرغ للبحث قدر الإمكان ، وفى حالة الاشتغال بعمل كسبى آخر ، يفضل أن يكون قريب الصلة من بيئة البحث العلمى ومجاله كالتدريس أو الإعلام .

٢- توافر القدرة اللغوية الضرورية لفهم ما يقرأ ، وللإفصاح عما يريد التعبير عنه .

٣- الاستطاعة المالية الكافية لشراء الكتب ، وتصوير المخطوطات ، والاشتراك فى بعض المكتبات للاستفادة من خدماتها .

٤- القدرة على إنشاء وتطوير العلاقات العلمية مع الباحث والأساتذة فى نفس المجال ، سواء بصورة مباشرة عن طريق اللقاءات ، وحضور الندوات ومناقشات فى الرسائل العلمية ، أو بصورة غير مباشرة عن طريق المراسلة ، والمتابعة .

متطلبات البحث فى الدراسات العربية والإسلامية

يتطلب البحث فى مجالات الدراسات العربية والإسلامية تحصيل قدر كافى من المعارف الأساسية ، التى يمكن التوصل إليها بما يلى :

– مداومة قراءة القرآن الكريم ، وتأمل آياته ، مع الاستعانة ببعض كتب التفسير البيانى ، والفقهى ، وأسباب النزول .

– الرجوع الدائم إلى أحد كتب الصحاح فى السنة النبوية[1] ، مع الاستعانة ببعض الشروح (القسطلانى على البخارى) .

– التصور الواضح لمنظومة الثقافة الإسلامية : العلوم الأساسية وتفرعاتها (انظر : مقدمة ابن خلدون ، الفصل الخامس) .

– إدراك العلاقات المتبادلة بين عناصر الثقافة الإسلامية ، والوقوف على مدى (التنوع والتكامل) فى هذه الثقافة .

– معرفة أهم المصادر ، وخاصة فى مجال التخصص ، مع المصادر الأساسية فى العلوم االمساعدة .

– الإلمام بقواميس اللغة ، والأماكن ، والأعلام ، والطبقات ، والوفيات ، وكتب التاريخ الأساسية .

---

[1] هى : صحيح البخارى ، صحيح مسلم ، سنن النسائى ، سنن الترمذى ، سنن ابن ماجه ، سنن أبى داود . ثم يضاف اليها : موطأ مالك ، ومسند ابن حنبل .

– الوقوف على معاجم المطبوعات ، والمخطوطات •

– دراسات المستشرقين فى اللغات الأجنبية ، والمترجم منها إلى اللغة العربية (انظر كتاب : المستشرقون لنجيب العقيقى) •

متطلبات البحث الأولية

ليس من الضرورى أن يعرف طالب الدراسات العليا " كل شئ " فى مجاله ، وإنما يلزمه معرفة " كيفية الوصول إلى أى شىء فى هذا المجال" .

لذلك من الضرورى أن يلم الطالب جيداً (مع قدر كاف من التدريب الذى يمكن أن يتكون فى أثناء عملية البحث ذاتها) بما يأتى :

١- طريقة استخدام المعاجم العربية المختلفة ، وسرعة الوصول إلى ما يريد فيها .
٢- طريقة البحث فى معاجم المطبوعات وفهارس المخطوطات .
٣- طريقة البحث فى كتب التراجم والطبقات والأماكن .
٤- تخريج الآيات القرآنية (مع الاستعانة طبعاً بمعجم ألفاظ القرآن الكريم) .
٥- طريقة تخريج الأبحاث النبوية (معجم فنسنك) .
٦- طريقة تخريج الأشعار من دواوين الشعراء ، وكتب المختارات ، وموسوعات الأدب .
٧- طريقة رد النقول إلى أصحابها .

معرفة (الكتب - المفاتيح)

من المتوقع أن يكون الطالب قد تعرف ، خلال السنة التمهيدية ، على أهم الكتب — المفاتيح (وهى التى يحسن بكل باحث أن يفتتح دراسته بالاطلاع عليها) فهى تعتبر بمثابة المرشد الأول الذى يعطى الباحث معلومات أولية عن البحث الذى يود معالجته ، كما تدله على " المجموعة الأولى " من المصادر ، والمراجع الرئيسية .

ولا يمكن هنا أن نحدد مدى الاستفادة التى يحصل عليها كل باحث .فقد يكون تاريخ وفاة أحد الأعلام مهماً جداً ، كما يكون خبر انتقاله إلى بلد معين فى غاية الأهمية ، كما قد يكون خبر لقائة مع أحد الأعلام الآخرين مفتاحاً لباب جديد من البحث .. وهكذا . ومن أهم ما يمكن التوصية به فى هذا المجال ما يلى :

– دائرة معارف البستانى (ت ١٨٨٣م) فى إحدى عشر جزءاً .

– دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى (ت ١٩٥٤م) فىعشر مجلدات .

– دائرة المعارف الإسلامية :

* ما ترجم منها إلى اللغة العربية معلقاً عليه فى ١٦ مجلدا .

* والطبعة الثانية فيما سوى ذلك (وهى بالإنجليزية والفرنسية فقط)

– تاريخ الأدب العربى لبروكلمان (ت ١٩٥٦م) وهو مترجم بتعديل المرحوم النجار إلى العربية ، ومستكمل بعد وفاته فى ستة أجزاء .

– تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين ، فى ٧ مجلدات بالألمانية وهو تطوير وزيادة على بروكلمان (ترجمت بعض أجزائه إلى العربية) .

– الأعلام للزركلى : فى عشرة أجزاء .

– معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : فى خمسة عشر جزاء .

– مجموعة كتب أحمد أمين : فجر الإسلام جـ ١ .

ضحى الإسلام ٣جـ .

ظهر الإسلام ٤ جـ .

لقاء أستاذ لأول مرة

يحتاج طالب الدراسات العليا إلى مقابلة بعض الأساتذة فى مجال تخصصه لأخذ رأيهم فى موضوع معين ، أو طلب مساعدتهم فى نقطة خاصة ، أو الحصول منهم على بعض المؤلفات والأبحاث العلمية غير المنشورة .

ويفضل - قبل مقابلة أى أستاذ — أن يكون الطالب فكرة عن أهم مؤلفاته ، ويستحسن لو كان لدى الطالب معرفة بترتيبها التاريخى فى الصدور ، بحيث يبدو الطالب عند مقابلته للأستاذ على وعى بأهم أعماله، ومتابعاً لمسيرته العلمية . وهذه مسألة سيكلوجية على درجة عالية من الأهمية فى نجاح المقابلة المطلوبة .

وبالطبع يفضل أن يأخذ الطالب موعداً محدداً مع الأستاذ ، ويذهب إليه فى الوقت المحدد : لا قبله ولا بعده . وأن يبدأ بتقديم نفسه : اسمه ، وسنة تخرجه ، ورغبته فى دراسة المجال الخاص به ، والموضوع الذى ينوى دراسته . ثم يحدد له سبب زيارته بغرض إمكانية مساعدته فى نقطة محددة .

وبذلك يكون الطالب فى وضع يؤهله لتلقى مثل تلك المساعدة من الأستاذ • لكن على الطالب أن يتجنب ذكر آرائه الخاصة فى المقابلة الأولى ، وكذلك يتجنب التعرض لزملاء الأستاذ ، وأن يكون هدفه مركزاً فقط على المعونة العلمية التى جاء من أجلها •

ومهما تبسط الأستاذ مع الطالب ، فعلى هذا الأخير أن يظل محافظاً على الحدود بينهما ، وأن يظهر للأستاذ التوقير اللازم ، وحسن الاستماع والطاعة • وتلك هى أخلاق المتعلم التى أوصى بها علماء المسلمين وبسطوا القول فيها [1] •

---

(1) انظر كتابنا " الخطاب الأخلاقى فى الحضارة الإسلامية " الفصل الخاص بأدب العالم والمتعلم عند الماوردى ص ١٢١ - ١٥٦ دار الثقافة العربية القاهرة ١٩٩٣ م •

مراسلة أستاذ للمشورة

قد يضطر الباحث أحيانـا إلى أن يحتاج لـرأى خـاص ، أو معلومـة محددة من أستاذ فى بلد آخر • وهنا يمكن أن يبعـث لـه برسـالة يتحـرى فيها حسن التنظيم ، والدقـة ، ويبـدى الاحـترام اللائـق بمكانتـه • ومـن الأفضل أن يكتبها على الآلة الكاتبة •

وبعـد أن يقـدم نفسـه ، وموضـوع رسـالته ، يحـدد المطلـوب مـن الأسـتاذ (راجيـاً أن يتفضـل بإرسـاله إليـه نظـراً لأهميتـه القصـوى فـى استكمال بحثه • • •)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن البيئة العلمية فى أوربا تعرف جيداً هـذا التقليد ،وتقره • وهو يحظى مـن الأسـاتذة خاصـة بكـل اهتمـام • وقـد جربته بنفسى مع أكثر من أستاذ ، فسارع بالرد علىّ ، وتفضل فبعث لى بعض مؤلفاته فى الموضوع المطلـوب ، متحمـلاً بـالطبع مصـاريف الـبريد المرتفعة •

والمأمول أن يكون الأساتذة المصريون على نفس المســتوى • ومـا أجدرهم بذلك •

كتابة المقال العلمى

المقال العلمى عبارةعن بحث مصغر يتناول فكـرة محـددة ، ويسـتعان عليه بقراءة عدة مؤلفات قريبة التناول (لاداعى للمخطوطات فـى هـذه الحالـة) ويجـرى عرضـه فـى حـدود (١٥ ـ ٢٠) صفحـة مـن القطـع الكبير .

وكلما أورد البـاحث فيـه اقتباسـاً وضعـه بـين أقـواس ، وأشـار فـى الهامش إلى المصدر أو المرجع المأخوذ منه .

ويتكون المقال عموماً من مقدمة لا تزيد غالباً عـن صفحـة واحـدة ، يتم فيها التعرف بموضوع البحـث ، مـع الإشـارة إلى أهـم المراجـع التـى استعان بها الباحث .

ثم يتلو ذلك بيان الفكرة ـ موضوع الدراسـة ، مـع الـتركيز بصفـة خاصة على نشأتها التاريخية وتطورها ، والذين أيدوها ، والمعارضات التى جرت حولها .

وقد يلجأ الباحث إلى تصنيف الدارسين الذين اعتمد عليهم ، مع محاولة الترجيح - إذا أمكن - بين آرائهم •

وفي النهاية ، يختم الباحث مقاله العلمى بخاتمة تحتوى على خلاصة لأهم عناصر الموضوع ، مع الإشارة لحاجته إلى مزيد من البحث إذا كان يستحق ذلك بالفعل •

وأهم ما يتنبه إليه كاتب المقال العلمى : بناء المقال فى فقرات متدرجة ، ووضوح العرض ، وحسن استخدام فواتح الفقرات (سوف يأتى الحديث عنها بالتفصيل فيما بعد) •

وعلى الطالب أن يدرك أن كتابة المقال العلمى هى الطريقة الأولية للتدريب على كتابة الماجستير أو الدكتوراه فيما بعد • والإجادة فى المقال تؤدى بالضرورة إلى الإجادة فى صياغة الرسائل العلمية الكبرى •

غير أن المطلوب من الباحث هنا ليس هو الإتيان بجديد . وإنما المطلوب فقط هو تعدد قراءاته حول موضوع محدد ، وحسن اسفادته مما يقرأ ، ووضع اقتباساته في الأماكن المحددة لها ، ثم التعقيب المبسط عليها .

وعموماً فالغرض هنا غرض تدريبي محض . وإن كانت له آثار إيجابية على المدى الطويل فيما بعد .

عرض كتاب

قد يكون عمل البحث بالنسبة لطالب الدراسات العليا عملاً صعباً ، وخاصة إذا جاء بعد مرحلة الليسانس أو البكالريوس التى لم يكلف فيها بمثل هذا العمل من قبل . لذلك فإن بعض الأساتذة قد يضطرون إلى تكليف الطلاب بعرض أحد المصادر أو المراجع الهامة فى مجال التخصص ، وذلك كبديل للبحث ، وفى الواقع كمقدمة تمهيدية للتعود على القراءة ، وحسن استخلاص المضمون ، ثم القيام بعرضه على نحو خاص .

وفى هذه الحالة يقوم الطالب بقراءة الكتاب قراءة أولية ، ثم قراءة أخرى فاحصة ، بحيث يحاول أن يستخلص أهم عناصره ، ويقوم بعمل تصنيف شخصى للكتاب ، مستعيناً بفهرس الموضوعات من ناحية ، وبموضوعات الكتاب نفسها من ناحية أخرى .

وعندالكتابة ، يفضل أن يبدأ بتحديد مجال الكتاب العلمى ، وإبراز أهميته فى هذا المجال . ثم يخصص جزءاً بسيطاً للحديث عن مؤلفه ، من حيث صلته بهذا الكتاب (متى ألفه ، وسبب تأليفه ... إلخ) ووضع

الكتاب فى قائمة إنتاج هذا المؤلف (هل هو أول إنتاجه أم آخره ؟) ومن الطبيعى أن هذه المعلومات يمكن الحصول عليها من مقدمة الكتاب نفسه ، أو من مقدمات كتب المؤلف الأخرى . . .

ثم يتبع ذلك بعرض مختصر وواضح لموضوعات الكتاب الرئيسية ، متجاوزاً عن التفصيلات الصغيرة ، والأمثلة ، مع تطعيم هذا العرض ببعض الاقتباسات ذات الدلالة الخاصة من الكتاب نفسه .

وبالنسبة إلى منهج المؤلف ، ينبغى الإشارة إليه ، مع اقتراح ما يمكن أن يبدو للباحث من تقديم فصول أو تأخيرها ، ومن حذف موضوعات أو إضافة غيرها . مع عدم فقدان الموضوعية والتواضع فى مثل هذه الأمور .

ولتقييم الكتاب ، يمكن للطالب أن يرجع إلى (تحديد غرض البحث) لكى يحدد مكانته العلمية ، وموقعه الحقيقى فى أىَّ منها .

ثم إذا أمكن ، قام الطالب بتتبع أثر الكتاب فى الثقافة العربية والإسلامية : الكتب المؤيدة له ، والكتب المعارضة ، لمعرفة مدى قدرة الكتاب على البقاء والاستمرار .

وفى النهاية يختم الباحث عرضه للكتاب بفقـرة تلخيصيـة تحـدد أهم النقاط التى تعرض لها .

ويمكـن أن نوصـى طـلاب الدراسـات العليـا بـالرجوع إلى مجلدات(مجلة تراث الإنسانية) التى قام فيها عدد من كبـار الأسـاتذة فـى شتى التخصصات بعرض كتب مشهورة ، سـواء كـانت مكتوبـة أساساً باللغة العربية ، أو مترجمة إليها .وهى - فى رأينا - تعتبر نماذج جيـدة مـن عرض الكتب .

تحديد غرض البحث

أورد حاجى خليفة فى مقدمته القيمة لكتابه الشهير " كشف الظنون" مجموعة طيبة فى أغراض البحث العلمى ، أو التأليف • يقول :

" التأليف على سبعة أقسام ، لا يؤلف عاقل إلافيها :

١ – إما شئ لم يسبق إليه فيخترعه ،

٢ – أو شئ ناقص يتممه ،

٣ – أو شئ مغلق يشرحه ،

٤ – أو شئ طويل يختصره (دون أن يخل بشئ من معانيه) ،

٥ – أو شئ متفرق يجمعه ،

٦ – أو شئ مختلط يرتبه ،

٧ – أو شئ أخطأ فيه مصنفه فيصلحه " •

وهذا كلام ذو قيمة عالية فى مجال البحث العلمى ، ومناهج البحث • وسوف يمكننا المناقشة طويلاً حول " إعادة ترتيب " هذه الأغراض السبعة التى لا نجد من جانبنا ما يدعو إلى الزيادة عليها • بل إننا نأمل أن يلتزم بها المؤلفون العرب ، وأن يحددها كل واحد منهم فى

إننا نأمل أن يلتزم بها المؤلفون العرب ، وأن يحددها كل واحد منهم في مقدمة عمله حتى نعرف على وجه الدقة ماذا أضاف ؟ وإلى أي شئ كان يهدف ؟[1] .

والواقع أن الإتيان بشئ جديد يظل هو أعلى مراتب البحث العلمي ، لكنه لايأتي - عادة - إلا بعد جهود متواصلة ، تتمثل في الأقسام الستة التالية التي ذكرها حاجي خليفة . وفي مقدمتها توضيح المشكلات الصعبة التي عبر عنها بقوله " شئ مغلق يشرحه " كما يرتبط بذلك ترتيب المعلومات المختلطة وتصنيفها حتى تسهل الاستفادة منها. كما يظل الاختصار والشرح من أهم الوسائل التي تقرب البحث العلمي الخالص إلى مجال التعليم . أما إصلاح أو تصحيح الخطأ فهو بمثابة الإتيان بجديد .

[1] انظر كتابنا " الدوائر المتدخلة " فصل " حركة التأليف في العالم العربي المعاصر " ومقالنا " لماذا نكتب " مجلة العربي . اكتوبر ١٩٨٨م .

اختيار موضوع الرسالة

في ضوء ما سبق تفصيله حول أغراض البحث ، يمكن للطالب أن يختار موضوعاً معينا ، أو أكثر من موضوع ، ثم يقوم بمناقشته مع الأساتذة المتخصصين في المجال بعامة ، أو القريبين منه على نحو خاص .

وفي أثناء ذلك لابد له أن يطلع على ماكتب حول هذا الموضوع باللغة العربية ، ويتابع ما كتب عنه في اللغات الأجنبية .

وهنا عدة اعتبارات ينبغي مراعاتها :

١ – أن يتجنب اختيار موضوع تمت دراسته من قبل ، إما في رسالة جامعية ،أو في كتاب معترف به في مجال التخصص .

٢ – أن يكون الباحث على وعي بالمشكلات الحقيقية والمشكلات الزائفة في مجال تخصصه ،حتى لا يقدم على دراسة لا طائل من ورائها [1] .

---

[1] انظر كتابنا الفلسفة الإسلامية ، مدخل وقضايا ، ص ٨٣ - ٩٨ . دار الثقافة العربية . القاهرة ١٩٩١ م .

٣- أن يحدد الموضوع فى عنوان غير غامض ، وغيرفضفاض .

٤- أن يتجنب دراسة الموضوعات الضخمة (المشاريع التى تحتاج لمجموعة من الباحثين) ، والأفكار الجزئية الصغيرة (التى تكفيها مقالة علمية) .

أنماط الدراسة

من خلال استقرائي لأبحاث الماجستير والدكتوراه وخاصة في مجال الفلسفة الإسلامية ، أمكن التوصل إلى أحد عشر نمطا (أو قالباً بحثيا) تكاد تنحصر فيها تلك الأبحاث ، وهي :

١ – دراسة شخصية ، مع أعمالها كلها •

٢ – دراسة شخصية ، مع تأثيرها في مجال معين •

٣ – دراسة فكرة أو نظرية لدى شخصية معينة •

٤ – دراسة فكرة أو نظرية في إطار مذهب أو اتجاه معين •

٥ – دراسة فكرة منبثة بين عدة مذاهب أو اتجاهات •

٦ – دراسة مذهب متكامل •

٧ – دراسة مقارنة بين فكرتين أو نظريتين : متشابهتين أو متعارضتين •

٨ – دراسة مشكلة مطروحة بين عدةمذاهب أو اتجاهات •

٩ – دراسة المنهج عند شخص معين ، أو مدرسة معينة •

١٠ – جمع أقوال قديمة متناثرة في موضوع معين ، ودراستها •

١١ – تحقيق مخطوط قديم ، ودراسة موضوعه •

ومن المؤكد أن هذه ليست هى " كل " الأنماط ، وإنما الـذى يمكـن الاطمئنان إليه ، هو أن هذه الأنماط هى " الأكثر شـيوعاً " حتـى الوقـت الحاضر • ولعلها بذلك تساعد طلاب الدراسات العليا فـى توضيـح "النمط " الذى يقدمون على اختياره ، أو تحديد النمط الـذى اختـاروه بالفعل •

يتطلب جمع المادة العلمية قراءات واسعة ، وسريعة ، ومتعمقة فى نفس الوقت . ولا شك أن محافظة الباحث على الجمع بين (السعة والسرعة والتعمق) سوف تأتى بالتدريج . فمن المعروف أن القراءة فى مرحلة جمع المادة العلمية ليست قراءة للتسلية أو للتدقيق المبالغ فيه ، وإنما هى قراءة للتعرف ، من أجل الوقوف على الأفكار الرئيسية ، والاقتباس منها بالنقل أو التلخيص .

أما النقل ، فهو عبارة عن اختيار نصوص محددة البداية والنهاية من الكتاب المقروء ، ونقلها ـ كما هى ـ بكل دقة ، مع الإشارة فى أسفل كل نص منقول إلىاسم مؤلفه ، وعنوان الكتاب (الجزء والصفحة) ، والناشر ، ومكان الطبع ، وتاريخه .

وينبغى أن نوصى الباحثين الجدد بعدم الإغراق فى نقل النصوص ، وأن نشجعهم بدلاً من ذلك على فهمها جيداً ، ونقل محتواها ، حتى تتخلص الرسائل من كثرة النصوص التى أصبحت تمثل عبئاً ثقيلاً عليها .

وأما التلخيص فهو أنسب الطرق لجمع الأفكار والآراء تمهيداً لعرضها أو مناقشتها • وينبغى ألا يكون التلخيص عاجزاً عن نقل الفكرة بكاملها • ومن المقرر أن التلخيص لو تم على نحو جيد منذ البداية لقدم للباحث خدمات جليلة ، ووفر عليه مجهودات ضخمة •

ولأهمية التلخيص ـ من وجهة نظرنا ـ سوف نتوقف عنده قليلا • فهو أداة الباحث الأساسية فى مرحلة القراءة ، وجمع المادة • وهو يتطلب فهماً واعياً للموضوع المقروء ، كما يتطلب حركة سريعة من العقل لإعطاء كل فقرة عنواناً صغيراً محددا • ومن مجموع هذه العناوين الفرعية للفقرات يمكن بناء هيكل منطقى للموضوع كله •

وينبغى ألا يغفل الباحث عن الاستدراكات التى قد يقوم بها بعض المؤلفين ، بعد عرض وجهة نظره فى مسألة معينة ، فيكتفى بمقدمة الفقرة مغفلاً خاتمتها أو نتيجتها •

وعلى الرغم من أن التلخيص ينزع إلى اختصار الموضوع فى أقل مساحة ممكنة ، فإنه لابد أن يكون وافيا بالغرض الأساسى منه ، بحيث يصح أن نطلق عليه مصطلح "التلخيص الوافى" • وإذا جاز لنا أن

نضع هنا نسبة معقولة لقلنا إنها نسبة ١٠ : ١ (أى أن كل عشر صفحات يمكن تلخيصها فى صفحة واحدة) .

بهذه الطريقة ، يمكن للباحث أن يتمكن جيدا من المادة العلمية ،ويحكم السيطرة عليها ، ممهدا بذلك إلى إعادة تأملها من منظوره الخاص ، ومتمكنا على نحو أفضل من تقييمها التقييم الصحيح ، وخاصة عند مقارنتها بغيرها .

بطاقات المادة العلمية

من تجربتى الخاصة ، أصبحت أوصى طلاب الدراسات اتلعليا بأن يشترى كل منهم "رزمة" ورق فولسكاب (٥٠٠ ورقة) ، ثم يقوم هو نفسه بقصها نصفين متساويين ، وبذلك يجتمع لديه عدد كبير جداً ومتساو من البطاقات التى تمثل المادة الأولية لعمله (ألف ورقة) •

كل بطاقة يمكن أن تحتوى على نص منقول ، أو ملخص •• وفى أسفلها توضع كل المعلومات الببليوجرافية الخاصة بالكتاب المنقول منه النص (وهنا لا ينبغى أن يعتمد الباحث على ذاكرته ، فيكتب النص مغفلاً هذه المعلومات ، لأن الذاكرة تنسى ، وتخدع) • وسوف يتم تحريك البطاقة من مكانها إلى أكثر من مكان ، وعندما لا يعثر الباحث على المصدر الذى استقاها منه تصبح عديمة القيمة تماما ، أو فى أفضل الظروف ، تتطلب منه جهدا ووقتا بالغين حتى يحصل من جديد على مصدرها •

وفى أعلى الصفحة وبقلم رصاص[1] ، يقوم الباحث بوضع عنوان من عنده للنص المنقول أو الملخص . ومن الطبيعى أن يجمع معاً النصوص المتقاربة الموضوع فى (ملف) خاص ليكون نواة لفصل أو باب من الرسالة .

وينصح الباحث أن يداوم باستمرار النظر فيما جمعه من نصوص، وأن يقوم بترتيبها ، وإعادة ترتيبها مرات كثيرة ، فإن هذه العملية هى التى تتيح له فرصة ظهور "فروض علمية" جديدة ، أو تفسيرات مبتكرة ويمكن القول بأنها تشبه عملية " الملاحظة " فى المنهج التجريبى .

---

(1) لأنه من المحتمل أن يعيد الباحث النظر فى العنوان ، فيقوم بتغييره بعد ذلك .

المصادر والمراجع

لا أريد أن أتوقف عند ذلك الخلاف اللفظى حول تعريف المصدر والمرجع • فالمصدر ببساطة هو الكتاب الذى يحتوى على المادة الأصلية للبحث ، أما المرجع فهو الكتاب الذى سبق أن درس هذه المادة (وهذا يعنى أن عمل الباحث نفسه سوف يصبح - عندما يكتمل - مرجعاً فى موضوعه) • فمثلاً إذا كنت أدرس المعتزلة ، تصبح كل مؤلفات المعتزلة مصادر ، فى حين أن أى باحث درس هذه الفرقة يصبح كتابه عنها مرجعا •• وهكذا •

وكلما تقدم الباحث فى القراءة حول موضوع بحثه ، تبينت له المصادر المطبوعة ، والمخطوطة • ومع ذلك ، فإننا نشير هنا إلى ما يساعده فى الوصول إلى ذلك :

١- دوائر المعارف ، وقوائم المؤلفات الملحقة بكل مادة •

٢- المؤلفات الحديثة المتصلة بالموضوع •

٣- المقالات العلمية المتصلة بالموضوع ، فى الحوليات والمجلات المتخصصة •

٤- الاستفسار من الأساتذة المتخصصين •

٥- الاستفسار من أمناء المكتبات ، وبعضهم لدية خبرة فى هذا الصدد [١] .

وسوف نشير هنا مرة أخرى إلى كتاب نجيب العقيقى (المستشرقون) لمعرفة ما كتب عن الموضوع فى اللغات الأجنبية بأقلام المستشرقين .

وهنا توصية خاصة لكل باحث . فإن ارتياد المكتبات العامة ، ومعارض الكتب ، والتجوال المستمر لدى باعة الكتب قد يضع - بالصدفة - أما الباحث بعض المصادر والمراجع التى ربما لم يكن يحلم بمعرفتها ، وهو قابع فى مكانه .

---

[١] أذكر من ذلك على سبيل المثال المرحوم فؤاد سيد الذى كان واسع المعرفة بشتى المخطوطات فى العالم العربى والأوربى ، وكذلك المرحوم محمد رشاد .

أهمية الترتيب التاريخى للمصادر

أخبرنى المحقق الكبير السيد أحمد صقر ـ وكان قد اشتغل لفترة طويلة بتحقيق كتب الأدب العربى القديم ـ برغبته فى التحول إلى تحقيق كتب السنة النبوية ، وكان هذا يعنى تغيير مجال تخصصه تغييراً كاملاً ، ولكى يحقق هذه الرغبة ، قام أولاً بحصر كل المؤلفات المتوافرة فى الأحاديث أو فى الرجال أو فى أصول الرواية والسماع (مطبوعة ومخطوطة) ثم ترتيبها ترتيباً زمنياً متسلسلا ، وعلى الفور تبين له مدى استفادة اللاحق من السابق ، وأين توجد الأصالة ، وأين يوجد التقليد والنقل ، وما هو التقليد الإيجابى والتقليد السلبى ، وقيمة الشروح والمختصرات والتعليقات ، وهل تضيف جديدا ، أو توضح غامضاً ..

وهكذا ـ قبل أن يقوم بتحقيق عدد هام من أهم مخطوطات السنة النبوية ، كان لديه تصور شديد الوضوح لمسيرة هذا العلم الصعب .

وأنا هنا أنصح طلاب الدراسات العليا ، المتجهين إلى دراسة مجال بعينه ، أن يقوموا بمثل هذا التصنيف التاريخى ، كل لنفسه ، حتى يتجنبوا الوقوع فى الكثير من الأخطاء ، وسوء الفهم .

مستويات المراجع

يحرص بعض طلاب الماجستير والدكتوراه أن يحشدوا فى قائمة المصادر والمراجع حشداً هائلاً من المؤلفات التى إطلعوا عليها ، أو استفادوا منها فى البحث . وبالتجربة وجد أن الكثير من المراجع يكون قليل القيمة أو فاقدها . وسوف أصرح هنا بأمر هام ، وهو أن قائمة المراجع هى الواجهة الأولى التى أعرف - أنا شخصيا - من خلالها مستوى صاحب البحث ، ومدى ثقافته ، وحسن تقييمه لمؤلفات الآخرين .

لاشك أن هناك من المراجع ما يكون بالغ الأهمية لموضوع البحث ، فقد يقدم للباحث منهجاً يحاكيه ، أو مادة يمكن الاقتباس منها ، أو أفكاراً إيجابية يمكن أن تثرى بحثه .

كما أن هناك من المراجع مايمثل للباحث وجهة نظر أخرى ، كأن يتخذ موقفاً مقابلا من موقفه هو ، وبالتالى يصبح هذا المرجع مهما فى شتى مراحل البحث للإشارة إليه بالمعارضة أو النقض .

كما أن هناك مراجع ذات قيمة محدودة ، نتيجة عدم العناية التى بذلها فيها أصحابها ، وهذه ينبغى الاطلاع عليها بسرعة ، وتجاوزها •

لقد صار البحث العلمى عملاً خاصاً لطائفة محددة تعمل فى الجامعة ، أو تتصل بها •ومن ثم فإن (العرف) يحتم علينا أن نعطى للمؤلفين من حملة الألقاب العلمية (الدكتوراه) وزنا خاصاً عند الاعتماد عليهم ، أو مناقشتهم • وفى المقابل من ذلك ، ينبغى عدم التوقف طويلاً عند آراء الإعلاميين الذين يكتبون للاستهلاك المحلى ، واليومى ، فهؤلاء لايعتد عادة بآرائهم كثيراً فى البحوث الجامعية •

وسوف يميز الباحث الجيد بخبرته الذاتية المتكونة من التجارب العديدة بين المراجع الجادة والمراجع الهزيلة التى قصد بها أصحابها مجرد الربح المادى ، أو السمعة الإعلامية •

بل إن الباحث فى الثقافة العربية والإسلامية قد يفاجأ بأن هناك أسماء كبيرة كتبت فى موضوع ما ، فإذا أمسك بمؤلفاتهم ليفحصها عن قرب، اكتشف أنهم لم يقولوا شيئاً مفيدا ، أو قالوا مجرد أشياء سطحية لاقيمة لها •

لقد أثبتت التجربة أن قليلا جداً من المؤلفين العرب هم الذين يمكن أن تجد لهم آراء محددة في قضايا معينة ، وأن الأغلبية إنما هم مجرد "مصنفين" بدون وجهات نظر [1] .

[1] انظر كتابنا " الدوائر المتداخلة " ، فصل: (حركة التأليف في العالم العربي : محاولة للتشخيص)

تقسيم الرسالة

جرت العادة فى الرسائل الجامعية على أن تقسم الرسالة إلى مقدمة ، وبابين أو ثلاثة ، وخاتمة ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع.

وفى المقدمة يذكر الباحث : سبب اختياره للموضوع ، وبيان أهميته فى مجال البحث (وفى الواقع لو أمكن) وأهم الذين تناولوه من قبل ، مع الإشارة إلى تقييم نتائجهم ، ثم يعرض خطته هو فى البحث ، وأساس تقسيمه له ، مع الإشارة للمصادر الجديدة (إن وجد منها شيئا) والصعوبات التى قابلته فى أثناء البحث ، وأخيراً شكر الذين عاونوه بدون تزيد أو مبالغه.

وفى كل باب ينبغى أن يبدأ الباحث بتمهيد يقدم فيه لموضوعه، ويبين على أى أساس قام تقسيمه له .

وبالطبع ، ينبغى أن يحتوى كل باب على فصلين أو ثلاثة (الذى يحدد ذلك كمية المادة العلمية التى تم جمعها ، وطريقة تصنيفها).

ومن الضرورى أن تكون الأبواب منطقية التقسيم ، والفصول متسلسة بحيث أن نظرة سريعة على شكلها الخارجى تعطى القارىء فكرة عامة ومبسطة للعمل كله .

أما الخاتمة فتتضمن أهم النتائج التى توصل إليها الباحث على مدى بحثه . وهنا ينبغى عدم الاغترار أو التهويل من شأن النتائج ، وإنما المطلوب هو تقديمها بصورة موضوعية ومتواضعة فى آن واحد .

لكن بعض الرسائل قد لاتستجيب لهذا التقسيم السابق (أبواب وفصول) ، وعندئذ يمكن وضعها فى تقسيم آخر ، يطلق عليه تقسيم (المباحث) . . وهنا قد تمتد المباحث إلى سبعة أو ثمانية أو حتى أكثر من ذلك . ولعل هذا التقسيم الأخير يناسب دراسة موضوع "مخطوط" معين حيث لاتتطلب مادته العلمية التقسيم إلى أبواب وفصول ، بصورة منطقية متوازنة .

البناء الفنى للموضوع

داخل كل باب ، توجد عدة فصول . والفصل فى الرسالة العلمية عبارة عن موضوع شبه متكامل ، يمثل لبنة فى بناء . أى أنه يتمتع باستقلالية فى ذاته ، وأيضا بتبعية لما قبله ولما بعده.

وعلى أساس المنهج التحليلى لدراسة موضوع معين ، يمكن أن نقدم الخطوات التالية:

- المدخل اللغوى (وفيه يتم تحديد المصطلحات لغويا ، ونشأتها وتطور دلالتها الاصطلاحية).
- المدخل التاريخى (وفيه نتتبع المراحل التاريخية التى مرت بها الفكرة أو الظاهرة).
- الوصف والتحليل .
- المقارنة بالموضوعات المشابهة ، والمعارضة .
- المناقشة بين الرفض والتأييد.
- الترجيح بين الآراء.
- التلخيص .

وبالنسبة للمنهج التاريخي ، لابـد مـن تحديـد نشـأة الأفكـار وتحقيـق نسبتها لأصحابها ، وظـروف العصـر الـذى نشـأت وتطـورت فيـه ، ثـم تحليل عناصرها ، وبيان أهميتها ، وتتبع امتدادها أفقياً (فى عصر المؤلف) ورأسيا (بعد عصره) وكذلـك تتبـع معارضاتهـا أفقيـا ورأسـيا (أى لـدى المعاصرين ومن تلاهم) .

أما فى إطار المنهج المقارن ، فيقسم الموضـوع إلى أفكـار رئيسـية ، ثـم يجرى عرض وجهة النظر الخاصة بمفكر أو بمذهب معـين ،ثـم يتبـع ذلـك عرض وجهة النظر الأخرى ، تمهيداً للخـروج مـن هـذا العـرض بنتيجـة محددة [1] وهناك طريقة أخرى فى إطار المنهج المقارن تقـدم علـى أسـاس التداخل بين الأفكار المقارنة بدون ترتيب ، ولكن ثبت بالتجربـة أن هـذة الطريقة ربما تصلح للمقـالات الصحفيـة أكـثر مـن صلاحيتهـا فـى مجـال البحث الأكاديمى الذى يسعى دائماً إلى تحديـد الموضوعـات ، وتطويرهـا باستمرار .

---

[1] انظر كتابنا : المدينة الفاضلة بين أفلاطون والفارابى : دراسة مقارنة . دار هجر بالقاهرة ١٩٨٨ وكتاب "ابن عربى وليبنتز " للدكتور محمود قاسم . القاهرة ١٩٦٩

الشكل الخارجى لكتابة الموضوع

ينبغى أن يلاحظ الباحث ضرورة وضع أفكار الموضوع الرئيسية فى فقرات متناسبة الطول ، بحيث تنقسم الصفحة – عادة – إلى فقرتين أوثلاث ، أو أربع (ولا يستحب إطلاقا أن تمتلىء صفحة واحدة بفقرة كاملة ، أو جزء من فقرة).

ومما يساعد فى الوصول إلى ذلك التقسيم المتناسب للفقرات هو حسن استخدام البطاقات التى سبق للباحث جمعها ، وتصنيفها . فهى التى تقدم له – بسهولة – مثل هذا التقسيم .

وينبغى أن يكون (فى ذهن الباحث) عنوان صغير لكل فقرة . وإذا أمكن وضع عدة فقرات تحت عنوان جانبى كان هذا عملاً جيدا ، يساعد على تسهيل عملية القراءة.

ويمكننا هنا أن نشير إلى فائدة عملية هامة لطلاب الماجستير والدكتوراه. فبإمكان كل منهم أن يضع – فى نسخته الخاصة – لكل فقرة عنوانا جانبيا معبرا عنها بدقة ، حتى يمكن أن يستفيد منها أثناء

مناقشة الرسالة ، فيكون متيقظاً لكل ملاحظة ، وجاهزاً للرد السريع عليها ، بدلاً مما نلاحظه من الحيرة و(التوهان) الذى يبدو عليه بعض الباحثين فى أثناء المناقشات العلنية .

إن نظام أو شكل " الفقرات " يعبر غالباً عن حسن استيعاب الموضوع فى ذهن الباحث ، بالإضافة إلى حسن عرضه للقارئ . وميزة الفقرة تكمن فى أنها تعبر دائماً عن فكرة محددة ، وهذا يعنى أن الفقرات ينبغى أن تتدرج - تاريخياً أو تحليلياً - حتى تصل فى النهاية إلى نتيجة محددة .

أما الصفحة المليئة بدون فقرات فإنها تعبر عن فيض متلاحق من الحديث الذى لايحكمه الترتيب ، ولا ينتظمه التسلسل العلمى . وهى - بصفة عامة - علامة على عدم الاستعداد المنهجى للكتابة ، وقلما تؤدى - بالتالى - إلى نتيجة معينة .

لغة الرسالة العلمية

على الباحث أن يضع فـي ذهنـه – وهـو يكتـب – قـاعدة أساسـية تلتزم بأمرين معاً، وهما : الدقة والوضوح .

وهذا يعنـى أن يسـتخدم الألفـاظ فـى معانيهـا المباشـرة ، وليسـت المجازيـة . وأن يتجنـب فـى البحـث الأسـلوب الأدبـى الفضفـاض قــدر الإمكان ، ويقدم لغة وصفية لاقصور فيها ولا مبالغةعما يريد التعبير عنـه (وهنا عليه أن يستبعد تماماً أساليب التعجب ، والاسـتعاذة ، والاسـتفهام الاستنكارى .. الخ).

كما ينبغى أن يتجنب أيضا الكليشيهات العربية القديمة ، فهـى علـى الرغم من صلاحيتها فى عصرها ، لم تعد صالحـة للغـة العصـر الحـاضر ، وذلك من أمثال : (هنا مربط الفرس . ويأخذ بعضه بحجز بعض ، ومـن نافلة القول .. إلخ).

فواتح الفقرات

البحث الجيد هو الذى يقدمه صاحبه فى فقرات ، متدرجة ، يؤدى السابق منها إلى اللاحق فى تسلسل منطقى معقول .

والفقرة تبدأ بعد فراغ (حوالى كلمتين) وتتكون من عدة جمل، ويمكن أن تحتوى على اقتباس واحد (سطر أو أثنين أو ثلاثة على الأكثر) .

والصفحة الجيدة – من حيث الشكل – هى التى تحتوى على أكثر من فقرة . فإن هذا يدل – كما سبق القول – على حسن تقسيم الموضوع إلى أجزاء . وكلما كانت الفقرات متساوية الحجم كانت أقرب إلى انتظام التفكير .

إن كل فقرة لابد أن تحتوى على فكرة محددة . والمؤلف الردىء هو الذى يثرثر طويلاً دون أن يقول شيئا . ومن الواضح أن حسن استخدام الفقرات يأتى من كثرة التدريب على الكتابة ، كما يمكن اكتسابه من كثرة قراءة الكتب الجيدة .

ولكل فقرة فاتحة معينة تبين منذ البداية مكان هذه الفقرة وتحدد موقعها مما قبلها ومما سوف يأتى بعدها •

ففاتحه (وبناءً على ذلك) تعتبر نتيجة لما قبلها • وفاتحة (ومن المعروف) تقرر شيئاً ، وفاتحة (وإذن) تمثل نتيجة نهائية ، وفاتحة (ومهما يكن من أمر) تشير إلى الإضراب عما سبق ، ومحاولة الخلوص إلى شىء آخر •

والذى يمكن أن أقوله هنا أن الوعى العميق بطريقة استخدام فواتح الفقرات هو الذى يميز المؤلف الجيد الذى يطور بحثه من أجل الوصول فى نهايته إلى نتيجة محددة •

وهنا نصيحة يمكن أن تقال وهى ضرورة ابتعاد الباحث عن استخدام فواتح فقرات من مثل (ولاشك ، ومن اللازم ، وينبغى ، ومن المؤكد...) التى تعبر عن الحسم الكامل ، فإن كل موضوعات الدراسات الإنسانية تظل دائماً قابلة للإثبات والنفى والظن • وعلى الباحث هنا أن يستفيد من لغة البحث التجريبى التى تفتح الباب دائماً للتفسيرات أو الاكتشافات الجديدة •

الضمير المستخدم فى البحث

يلام الباحث الذى يستخدم ضمير المتكلم الفرد (قمت ، وحاولت ، واستنتجت) بأنه مزهو بنفسه .

كما يلام الباحث الذى يستخدم ضمير المتكلم الجمع (قمنا ، وحاولنا ، واستنتجنا) بأنه يعظم نفسه بصيغة الجمع ، وهو مايزال فى أول طريق البحث العلمى .

لذلك يهرب بعض الباحثين من هذا وذاك إلى استخدام ضمير الغائب ، فيقول (ويرى الباحث ، وحاول الباحث ، واستنتج الباحث) فيوقعنا فى الالتباس ، حيث يظن قارئه أنه يعنى باحثا آخر غيره .

وهناك من الباحثين "المساكين" من يلجأ إلى إضفاء صفة الحياة على البحث نفسه ، فيقول (ويرى البحث ، ويقوم البحث ، ويستنتج البحث) حتى يتخلص من اللوم السابق .

والقليل جدا يستخدم أسلوباً وصفيـا ، محـاولاً الاختفـاء تماماً وراءه فيقـول : (وقـد تم التوصـل إلى كـذا ، وقـد جـرى مناقشـة كـذا) وهـذا أسلوب جيد بدون شك ، لكنه يحتاج إلى قدرة لغوية عالية .

والواقع أن الأساتذة المناقشين للرسائل العلمية مختلفون فـى تقبـل أى واحدة من هذه الطرق . وأنا شخصياً لا أجد مانعاً من استخدام ضمـير المتكلم الفرد ، لأنه يعبر بالفعل عما هو واقع . فالباحث هو الـذى فعـل وفعل .. ومن الطبيعى أن ينسب الفعل لصاحبه .

ولكن هذا الرأى الخاص بى لايمكن تعميمه إلا إذا قبله بهـذا التـبرير معظم الأساتذة المناقشين .

وللخروج مـن هـذا المـأزق الصعـب ، يمكـن أن يجمـع البـاحث بـين الأسلوب الوصفى المحايد الذى سـبقت الإشـارة إليـه ، مـع التقليـل قـدر الإمكان من استخدام ضمير المتكلم الفرد .

استخدام النصوص المنقولة

يتعامل الباحث فى الدراسات العربية والإسلامية بصفة خاصة مع النصوص . والنصوص فى الواقع هى التى تكون مادة البحث الأولية . فهى تجمع ، ثم تصنف، ثم تحلل، وتناقش ، وتقارن ، وأخيراً يستنتج منها النتائج المنطقية .

وهكذا فإن النصوص ذات قيمة كبرى فى الأبحاث العلمية . وينبغى عند إيرادها من مصادرها الأصلية أن توضع بين أقواس هكذا «... ...» تبدأ قبلها ، وتنتهى بعدها مباشرة ، حيث يوضع على يسارها ، وأعلى قليلاً من مستوى السطر رقم يحيل إلى المصدر الذى جرى استقاؤها منه فى الهامش .

ويفضل فى البحث العلمى الجاد ألا تطول النصوص فتبلغ مثلاً صفحة كاملة ، كما ينبغى الاقتصار فى إيرادها ما أمكن ، وإلا تحولت أبحاثنا إلى نقول من الكتب القديمة .

والقاعدة هنا ألا تعرض النصوص كما هي إلا عندما يراد منها تأكيد أمر مستبعد فيكون وجودها عندئذ (دليلاً) أو (حجة) .

كما يمكن إيرادها عند مناقشة رأى قديم لإثبات أن الباحث لايتحدث فى فراغ ، وفى هذه الحالة يكون وجودها (توثيقياً).

والباحث الجيد هو الذى يحسن إيراد النصوص فى أماكنها المناسبة من بحثه ، ويكتفى منها بالأهم فالمهم . إذ ليس كل نص قديم يستحق النقل ، بل يمكن تلخيصه بلغة الباحث ، والإشارة إلى مكانه ، مع التزام الدقة والأمانة فى ذلك .

لكن قد يضطر الباحث لموضوع معين – ولأسباب حقيقية – أن يضمن بحثه كثيراً من النصوص ، وقد تكون طويلة . وعندئذ يمكن جمعها فى ملحق خاص ، يوضع فى نهاية الرسالة ، وتجرى الإحالة عليه خلال صفحات البحث . وهذا عمل جيد ، لم ينتشر كثيرا فى العالم العربى ، مع أنه يقدم فائدة علمية كبرى تتمثل فى تزويد القارىء بالأصول مع وجهات النظر الحديثة حولها .وفى عصر أصبح من الصعب الحصول على بعض المصادر القديمة ، يغدو هذا العمل بالغ

الأهمية . أما عند توافر المصادر ذاتها ، فلا يستدعى الأمر اللجوء إليه ، ويكتفى بالاقتباسات القصيرة فقط .

وأخيراً قد يضطر الباحث لنقل نص من مصدر عن طريق مرجع حديث . وهذا عمل مباح ، بشرط أن يكون هذا المرجع ذا سمعة طيبة فى الوسط العلمى .

فمثلاً يمكن أن يقتبس الباحث نصاً للمقرى فى كتابة (نفح الطيب) من خلال أحمد أمين فى كتابه (ضحى الإسلام) . أو يقتبس نصاً من (رسالة)الشافعى من كتاب (أبو زهرة) عنه .

وقد يمكن أن نضع هنا شرطاً آخر ، غير سمعة الكتاب العلمى ، وهو أن يكون النقل فى مجال موضوع فرعى . أما إذا كان موضوعاً أصليا فينبغى أن يرجع الباحث إلى المصادر نفسها ، حتى ولو رآها فى كتب الآخرين .

أسماء الأعلام الواردة فى الرسالة

بالنسبة لجميع الأعلام الواردة فى الرسالة ، ينبغى وضع سنة الوفاة بين قوسين عقب كل اسم • وبالنسبة للمسلمين القدامى ، يوضع التاريخ الهجرى ثم الميلادى • أما أعلام العصر الحديث (ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادى) فيمكن الاكتفاء بالتاريخ الميلادى نظراً لشيوعه •

وعند ذكر أسماء الأعلام الأجنبية ، يفضل كتابتها بالحروف اللاتينية ، مصحوبة بنطقها العربى • وهذا بالطبع فى الأسماء غير المشهورة ، أو الأسماء التى لاتحدث التباساً فى كتابتها مثل اسم "كانت kANT " •

لكن عند تكرار اسم أحد الأعلام ، كأن يكون مثلاً هو موضوع البحث الرئيسى ، فلا داعى لذكر سنة الوفاة (أو الاسم اللاتينى) عقب وروده فى كل مرة •

إن وضع تاريخ الوفاة عقب أسماء الأعلام يساعد الباحث من ناحية على وضوح العرض التاريخى للموضوع ، كما يساعد القارىء من ناحية

أخرى على سهولة متابعة الموضوع من الناحية الزمانية • كما أنه يتيح للبحث ذاته فرصة بيان مدى التأثير والتأثر بين العلماء السابقين •

وينبغى أن ننبه بشدة إلى ظاهرة سيئة بدأت تشيع فى الرسائل العلمية ، وهى إضفاء ألقاب التفخيم وما يشابهها على الأعلام المستشهد بهم فى الرسالة • ومن ذلك (قال العلامة فلان • قال شيخ المؤرخين ، أو شيخ الفلاسفة ، أو الشيخ الأكبر ، أو حجة الإسلام) وكذلك (يرى شيخنا ، ويقول إمامنا) إلخ •

إن البحث العلمى ينبغى أن يتجرد عن هذه الألقاب حتى تظهر آراء أصحابها بصورة محايدة ، فيتاح للباحث فرصة نقدها ، وبيان صحيحها من فاسدها • وعلى الباحث أن يعلم جيداً أن رأى العالم المستشهد به إذا كان صحيحاً أقنع بذاته ، وبدون الاعتماد على سند من اسم صاحبه ، أو سمعته • وقديما قيل "لاتعرف الحق بالرجال • وإنما اعرف الحق تعرف أهله" وهى قاعدة ذهبية ينبغى أن تسود فى البحث العلمى •

بالنسبة إلى الآراء المخالفة

ليس هدف الرسالة العلمية هــدم الآراء الخاطئة ، بقـدر مـاهو بنـاء الآراء الصحيحة • وهذا يتطلـب ألا يشـغل البـاحث نفسـه كثـيرا بتتبـع سقطات المؤلفين فـى رسـالته (طبعـاً يمكنـه أن يتـابع ذلـك لنفسـه) • إنمـا المطلوب أن يقيم بناءً علميا صحيحاً ، وأن يدعمــه بالشـواهد والأدلـة ، وأن يوضحه بالأمثلة الكافية •

وينبغى الإشارة إلى أنه من أخطر المواقف التى قد يتعـرض لها طـالب الدراسات العليا أن يذكر رأياً لأستاذ ، ويعنــف فـى مهاجمتـه، ثـم يفاجـأ فيما بعد بأن هذا الأستاذ عضو فى لجنة مناقشته !

وليس معنى هذا أن نسكت عــن الأخطـاء ، وإنمـا المقصـود أن تتجه الرسالة العلمية للبناء بدلاً من أن تضيـع جهدهـا فـى التصـارع مـع الآخرين • ويمكن للباحث أن يشير فـى الهـامش إلى أن رأيـه المدعـم هنـا يخالف الرأى الآخر الذى يقول كذا ، وبذلـك يصـل إلى مـا يريـد بأيسـر الوسائل ، ودون الوقوع فى مآزق •

وعلى الباحث أن يتجنب قدر الإمكان السخرية من صـاحب الـرأى المخالف لرأيه ، وأن يركز همه أولاً وأخيراً على تفنيـد الـرأى الخـاطىء وإثبات رأيه هو ، دون تجريح صاحبه بكلمات نابية ، أو مستهزئة !

والقاعدة هنا هى فحص الآراء ، وليـس الحكـم علـى الأشـخاص. فالمخطىء فى رأى ليس بالضرورة مخطئاً فى باقى الآراء.

كذلك ينبغى عدم محاسبة المخالفين على نوايـاهم التـى قـد يتصورهـا الباحث . والمحك الأخير دائماً هو "النص" فى حالته الراهنة ، وبدلالاتـه المباشرة .

ومن أهـم مـا ينبغـى أن يراعيـه البـاحث عـدم الاعتمـاد علـى آراء المفكرين أو المؤلفين فى بعضهم البعـض ، دون أن يتـأكد هـو نفسـه مـن ذلك . فما أكـثر الأراء أو وجهـات النظـر التـى يبنيهـا أصحابهـا علـى "الشائعات" دون الاعتماد علـى الأقـوال الثابتـة النسـبة إلى أصحابهـا . ونحن نعلم جيداً أن الوسط العلمى لايخلو من التنافس ، والغيرة ، ومحاولة هدم الآخرين .. وهى عيوب تصدر عن الأهـواء ، أكـثر مما تنطلـق مـن منافسة الأراء بالحجة والبرهان .

مايوضع فى الهوامش

تخصص الهوامش أولاً : للإحالة عليها فى أسماء الكتب التى يجرى الاقتباس منها ، أو تلخيص محتواها ، أو الإشارة إلى ماورد فيها من آراء .

وثانياً : لتخريج الآيات القرآنية الواردة فى متن الرسالة . والقاعدة المتبعة هنا أن يذكر اسم السورة ، يتبعها فاصلة ثم رقم الآية بهذا الشكل : (سورة البقرة ، آية ٦٥) (ولابد من ذكر كلمة: سورة)

وثالثاً : لتخريج الأحاديث النبوية ، بالإشارة إلى كتب الصحاح التى أوردتها ، مع العناية – إذا أمكن – ببيان درجة صحة الحديث .

ورابعاً : للتعليقات الثانوية على بعض الآراء ، إما للتأكيد عليها ، أو لمخالفتها ، دون أن يكون ذلك مقصوداً أساسيا كما سبق القول .

وإذا كان من الممكن التعريف فى الهامش ببعض الأعلام الواردة فى المتن ، أو تفصيل بعض الأحداث ، فليس من المعقول التعريف بالأعلام

الشهيرة كما يحدث أحيانا حين يعرف باحث بأرسطو أو ديكارت في رسالة عن الفلسفة ! أو التعريف بالجاحظ والمتنبى فى رسالة عن الأدب .

وإذا كان من قاعدة عامة فى هذا الصدد ، فيمكن القول بأن الهامش ينبغى أن لايزيد فى مساحته عن خمس الصفحة ، ولا يلجأ الباحث إلى إطالته إلا لضرورة ملحة جدا ، وفى أضيق الحدود .

وسوف تظل الدربة والمران هى التى تجعل الباحثين يتمايزون فيما بينهم بالنسبة إلى الاستخدام الجيد للهامش . فإن التفرقة بين مايوضع فى المتن وما يوضع فيه تظل مسألة فنية تتبع خبرة الباحثين، وكذلك ذوقهم .

قائمة المصادر والمراجع

بعد أن ينتهى الباحث من رسالته ، عليه أن يقوم بعملية تجميع لكل ما اعتمد عليه خلالها من مصادر ومراجع ، على أن تكون مصحوبة بمعلوماتها الببليوجرافية الضرورية (اسم المؤلف–اسم الكتاب–عدد الأجزاء "إن وجد"– رقم الطبعة "إن وجد" – الناشر – مكان النشر– سنة النشر) • وبالنسبة للكتب المحققة ، يضاف اسم المحقق ، بعد اسم المؤلف •

ويختلف الباحثون حتى اليوم فى ترتيب هذه القائمة • فالبعض يرى ترتيبها حسب أسماء الكتب : وهنا عيب واضح يتمثل فى إمكانية تكرار اسم المؤلف الواحد لأكثر من كتاب • والتكرار فى هذه القائمة أمر غير مستحب على الإطلاق •

لذلك فإن الترتيب تبعاً لأسماء المؤلفين هو الأصوب والأكثر اختصارا ، فتحت اسم المؤلف يمكن أن يذكر كتاب أو اثنان أو ثلاثة دون أى تكرار •

أما ترتيب الأسماء ، فأفضل طريقة هى إغفال (أل - أبو - أم - ابن) من اسم الشخص ثم اعتبار أول الحروف بعد ذلك ، ووضعه فى الترتيب الألفبائى لها .

وبالنسبة لأسماء المؤلفين الغربيين باللغة العربية ، لاتوجد مشكلة، فالمؤلف الغربى مذكور دائماً باسم عائلته ، ونفس الشىء ينطبق على المؤلفين العرب القدامى (الغزالى- البيرونى- الكندى.. إلخ)

أما الأسماء العربية الحديثة فهى التى تخدع كثيراً من الباحثين ، لأنهم يحاولون أن يطبقوا عليها الطريقة الغربية ، فيجعلون آخر الاسم هو المدخل إلى الاسم . وما أغرب أن تجد أمثال هؤلاء يضعون أسم (طه حسين) تحت اسم (حسين) أو (زكى نجيب محمود) تحت اسم (محمود) فما الذى يعرفه القارىء عن هذا الاسم الأخير ؟

الواقع أن الطريقة المثلى هنا ، وأتمنى أن تشيع ، هى أن نضع الاسم العربى الحديث بصورته المتعارف عليها فى الأوساط العلمية فيوضع (طه حسين) كما هو ، (زكى نجيب محمود)كما هو و(أحمد أمين) كما هو .. أما إذا بلغ الاسم الأخير حد الشهره فيمكن حنيئذ استخدامه كما

هو الحـال فـى اسـم (عبـاس محمـود العقـاد) لأن الجميـع يعرفونـه باسـم (العقاد) •

هنا أمر آخر وهو ضرورة تقسيم المراجع إلى قسمين أحدهمـا باللغـة العربيـة ، والآخـر باللغـات الأجنبيـة • وفـى كـل منهمـا نتبـع الـترتيب الألفبائى منذ البداية وحت النهاية •

وبالنسبة للأبحاث العربية ، يفضل وضـع (القـرآن الكريـم) و(كتـب السنة النبوية) قبل الدخول فى الترتيب الألفبائى ، احتراماً لهمـا وتوقـيرا •• كما يمكن أن يضاف إليهما دوائر المعارف ، والقواميـس ، والكتـب المتعددة للمؤلفين •

ولا داعى لإعطاء أرقام متسلسلة لعنـاوين الكتـب حتـى لايظهـر مـن ذلك أن الباحث يريد أن يستعرض قراءاتـه ، فـإن العمـل العلمـى الجـاد يتحدث عن نفسه بغير هذه الأمور العارضة ، وعلى الباحث أن يدرك أن مجموعة قليلة فى مكانها الطبيعى من المراجع والمصادر أفضـل بكثـير مـن مجموعة كبيرة فى غير موضعها الحقيقى •

الفهارس

يمكن للباحث أن يقدم عمله فى أفضل صورة ممكنة حينما يقوم بوضع عدة فهارس للرسالة ، على أن يراعى فيها الدقة ، وذلك يتطلب مراجعة جيدة للأرقام ، وللإحالات المختلفة إلى صفحات الرسالة .

وقد جرى العرف بأن الفهارس تتنوع حسب مادة الرسالة ، على أن يكون فهرس الموضوعات هو الدائم فيها كلها . ويمكن أن يسبقه فهارس للأعلام ، والأماكن ، والمصطلحات ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والنقول .

وقد جرت العادة بوضع الفهارس المتعددة فى نهاية الرسالة . أما بالنسبة لفهرس الموضوعات على نحو خاص ، فأحيانا يضعه بعض الباحثين فى أول الرسالة ، وأحيانا أخرى يضعه البعض الآخر فى آخر الرسالة . ولا بأس بهذا وذاك ، وإن كان من الأفضل وضع فهرس الموضوعات فى آخر الرسالة ، حتى يسهل على المناقشين الرجوع إليها .

المراجعة والتصحيح

فى المرحلة الأخيرة من إعداد الرسالة ، يكون الباحث قد أحس بالإرهاق ولم يعد قادراً على بذل مزيد من الجهد . ولكن تبقى خطوة أخرى ضرورية ، وهى مراجعة الرسالة أثناء الطبع ، وبعده لتصحيحها ، والقضاء على ما قد يرد بها من أخطاء مطبعية أو إملائية أو نحوية .

إن إهمال هذه المرحلة هو الذى يشوه الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه ، حين يبدى الأساتذة – خلال المناقشة – استياءهم الشديد ، وأحيانا سخطهم ، مما عانوه من هذه الأخطاء ، مع أن الأمر لم يكن يستحق أكثر من يوم وليلة على أكثر تقدير ، وبمعونة صديق عارف باللغة لكى يتم تصحيح نسخة واحدة ، ثم تصوير باقى النسخ على أساسها .

وبعض الباحثين المهتمين يستدرك بنفسه بعد الطبع هذه الأخطاء فيسرع بتسليم لجنة المناقشة (ورقة تصويبات) . . ولكن متى ؟ بعد أن يكون الأساتذة قد كونوا عن الرسالة فكرة سيئة من هذا الجانب .

وتزداد الأمور سوءاً حين لاتحتوى ورقة التصويبات على بعض الأخطاء التى سجلها الأساتذة .

إن من كمال العمل العلمى إظهاره فى أفضل صورة ممكنة . وليس ما أدعو إليه هنا أمراً صعباً ، إذا لم يكن الباحث متسرعاً ، أو لا مباليا ، ينحصر اهتمامه فقط (فى يوم المناقشة) الذى كاد يتحول فى جامعاتنا المصرية من جلسة علمية لها هيبتها إلى حفل اجتماعى ، يزدان بباقات الزهور ، وكاميرات الفيديو ، وأفواج المهنئين ، وأطفالهم الصغار والرضع .

مراجع فى مقدمات البحث ومناهجه

وقد وجدت من المفيد لطلاب الدراسات العليا ، المقبلين على اتخاذ البحث العلمى مجالاً لجهودهم ، أن أضع بين أيديهم مجموعة منتقاة من المؤلفات الحديثة التى تأخذ بأيديهم إلى قلب البحث العلمى ، وتوضح لهم مناهجه ، وتبين لهم أصوله :

د. إبراهيم مدكور : فى الفلسفة الإسلامية : منهج تطبيقه القاهرة ١٩٨٣

د. أحمد بدر : أصول البحث العلمى ومناهجه الكويت ١٩٧٨

د. أحمد شلبى : كيف تكتب بحثا أو رسالة القاهرة عدة طبعات

د. أسد رستم : مصطلح التاريخ بيروت ١٩٣٩

د. جلال محمد موسى : منهج البحث العلمى عند العرب بيروت ١٩٧٢

د. جابر عبد الحميد وآخرون : مناهج البحث فى التربية وعلم النفس القاهرة١٩٧٨

د. حامد طاهر : منهج البحث بين التنظيم والتطبيق القاهرة ١٩٩٢

د. حسن عثمان : منهج البحث التاريخى القاهرة ١٩٦٥

ديكارت : مقال فى المنهج – ترجمة محمود الخضيرى القاهرة ١٩٣٣

ديوى (جون) : المنطق نظرية البحث – ترجمة زكى نجيب محمود القاهرة ١٩٦٠

روزنتال (فرانز) : مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى –ترجمة أنيس فريحة بيروت ١٩٦١

د. زكى نجيب محمود : المنطق الرضعى القاهرة ١٩٦٥

د. عبد الرحمن بدوى : مناهج البحث العلمى القاهرة ١٩٦٣
عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها القاهرة ١٩٥٤
د. عثمان موافى : منهج النقد التاريخى عند المسلمين الإسكندرية د.ت
د. على ابراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث القاهرة ١٩٨٠
د. على جواد طاهر : منهج البحث الأدبى بغداد ١٩٨٩
حسب الله (الشيخ على) : أصول التشريع الإسلامى القاهرة ١٩٥٩
د. على عبد المعطى : المنطق ومناهج البحث العلمى فى العلوم الرياضية والطبيعية القاهرة ١٩٧٧
د. فؤاد زكريا : التفكير العلمى الكويت ١٩٧٨
د. كايد عبد الحق : مبادىء فى كتابة البحث العلمى دمشق ١٩٧٢
كلود برنار : مدخل إلى دراسة الطب التجريبى ترجمة د. يوسف مراد ، وحمد الله سلطان القاهرة ١٩٤٤
ليكليرك (رينيه) : المنهج التجريبى : تاريخ ومستقبله – القاهرة ١٩٩١ ترجمة د. حامد طاهر
د. محمد شفيق : البحث العلمى ـ الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية الاسكندرية ١٩٩٧
د. محمود زيدان : الاستقراء والمنهج العلمى بيروت ١٩٦٦
د. محمود الطناحى : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى القاهرة ١٩٨٤
د. محمود قاسم : المنطقى الحديث ومناهج البحث القاهرة ١٩٦٧
محمود شاكر : رسالة فى الطريق إلى ثقافتنا القاهرة ١٩٦٥
النشار (د. على سامى) مناهج البحث عند مفكرى الإسلام القاهرة ١٩٦٥ .

فهرس

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٩٧٩ / ٩٧
ترقيم دولى I. S .B.N
977 - 19 - 2740 - X

المطبعة الإسلامية الحديثة
٤٢ (أ) شارع دار السعادة – حلمية الزيتون
القاهرة – ت : ٢٤٠٨٥٥٨